



# إجفاف بحق شاعراً!

بقلم: نوزاد احمد  
السليمانية / كردستان العراق

نشر الكاتب نزار اغري مقالاً في (مركز عامودا للثقافة الكردية) الالكترونية بعنوان "الادب الكردي ضحية حروب.. و سوء فهم تاريخي" حول نوعية العلاقة التي تجمع ادباء العراق من العرب و الكرد بعضهم ببعض. يعتقد الكاتب ان تلك العلاقة كانت علامة على حذر متبادل و سوء ظن دفين حيث ان كاتب المقال قد رسم منذ البداية صورة قاتمة عن العلاقات الكردية العربية بين الادباء في العراق، و يعزو ذلك الى ان هذا ليس اكثر من امتداد لسوء الظن الشمولي الذي تكرس منذ اليوم الاول لقيام الكيان العراقي من جسمين - او قطبين - هما العراق و كردستان جمعهما المنتدب البريطاني - كما يقول الكاتب - ليؤلف منهما الدولة العراقية الحديثة و وضع زمام الحكم في يد العرب. ادت هذه الظروف الى انقسام و تصدع كبير من بين الادباء في العراق، و كان النص الادبي - في كلا الجانبين - بؤرة استقبال لسوء الفهم هذا و لم يعمل احد على امحائه او تبديده بل انشغل الكثير من الكتاب العراقيين العرب بعروبيتهم.

يستل الكاتب بعض الامثلة لتعزيز رأيه - و هو محق في جانب منها - و لتبيان حقيقة سوء العلاقة بين الادباء العراقيين، فمثلاً تغنى بعض الشعراء العراقيين العرب (يقول الكاتب: الشعراء العراقيون العرب!) بالعراق عربياً خالصاً، اذ استحضر الشاعر بدر شاكر السياب عشق و تموز و ادونيس قرائن على اصالة الفكرة العربية.. الخ، لم يأت الكاتب في الحقيقة بأمثلة مضيئة اخرى في حين ثمة عشرات الامثلة الاخرى التي تدحض رأي الكاتب او تثبت عكس ذلك و تثبت العلاقة الاخوية المتينة بين الادباء عموماً مع اختلاف بعض الازمنة و في سياقات مختلفة، و بعض ممن يسمون انفسهم بالادباء الذين كانوا حاشية السلطان على طول الخط.

لو تمعنا في دواوين بدر شاكر السياب لوجدنا ان لدى الشاعر قصائد لعيد نوروز و تمجيد كاوة الحداد، كما لا يخفى على احد بأن كبار الشعراء العراقيين امثال محمد مهدي الجواهري و عبد الوهاب البياتي و كاظم السماوي و مظفر النواب و سعدي يوسف و الشعراء الآخرين لهم مواقف ايجابية حول مختلف القضايا الانسانية منها القضية الكردية، كما هناك شعراء كرد بارزون تغنوا بالعلاقات المتينة بين العرب و الكرد و عبروا بروحية صادقة عن هذه العلاقة الاخوية التاريخية، امثال الشاعر الكردي الشهير فائق بيكس و الشاعر الكردي المبدع عبد الله گوران و كامران موكري و شيركو بيكس و آخرين غيرهم.

ذكر كاتب المقال اسم الشاعر الكردي شيركو بيكس في موضعين، أي توقف عند شاعر واحد و هو شيركو بيكس، و هذا يثير الاستغراب و التساؤل، لماذا يذكر السيد نزار اغري - و في مناسبات اخرى سابقة - اسم الشاعر المذكور في اكثر من مناسبة دون غيره؟

يقول كاتب المقال: "لم يجد الشاعر الكردي شيركو بيكس حرجاً في التغني بزعيم كردي كان دأبه ان يقتل معارضيه و يزرع في اتباعه روح الخنوع و يدفع بهم في طريق تقديسه. هكذا في وجه الديكتاتور الكبير، الآخر، يتم الترويح لديكتاتورنا الصغير الذي لم يتسلم الحكم بعد. كان يكفي هذا الزعيم ان ينطق باسم القوم حتى يهرع اليه شاعر القوم ليهتف له". من المعلوم ان كاتب المقال يقصد بالديكتاتور الصغير الزعيم الكردي التركي عبد الله اوجلان دون ان يذكر اسمه! و لكن الغريب في الامر انه كيف يخرج السيد نزار من سياق الحدث او بالاحرى كيف باستطاعه ان يستخرج الحدث من سياقه الخاص و من زمكانه الخاص، حيث كان اعتقال اوجلان - آنذاك - حدثاً عالمياً سياسياً كبيراً صدم الجميع. لقد كتب الشاعر الكردي شيركو بيكس نصاً ادبياً - و هو قطعة نثرية و ليس شعراً - ابان محنة الرجل و في لحظة اعتقاله من قبل السلطات التركية و الامريكية و الاسرائيلية، حيث وقف معظم سياسيي بلدان العالم الى جانب هذا الرجل كـ "رمز" للقضية الكردية و ليس هناك أي حرج في التغني به او كتابة قصائد له، لماذا الحرج؟ في حين لم يجد اولئك الشعراء و الكتاب الذين وقفوا الى جانبه حرجاً في الكتابة عنه. اذكر كاتب المقال حتى ان شاعراً مثل محمد الفيتوري لم يجد الحرج في كتابة قصيدة طويلة يمدح فيها اوجلان، و ان الرجل لم يكن بحاجة الى الترويح، او الى اناس و كتاب يروجون له لأن معظم العالم و الشارع السياسي كان معه و لقد "هرع" عشرات بل مئات من الكتاب و الشعراء و الصحفيين و السياسيين ليهتفوا من اجله بصيحة عالية لأفراجه، حيث كان الرجل ضحية مؤامرة سياسية دولية كبرى.

في موضع آخر يخرج الكاتب مرة اخرى من السياق او بالاحرى يستخرج قصيدة قصيرة لشيركو بيكس من سياقها الخاص و يلصقها اتهامات "ادبية" بأحجاف حينما يأتي بنموذج من قصيدة صغيرة - او نص قصير - لشيركو بيكس: ثمة اربعة اطفال يجتمعون على رسم رجل، يرسم الاول و هو تركي، رأس الرجل. و يرسم الثاني و هو عربي، جذع الرجل. فيما يرسم الثالث و هو فارسي، اطرافه. اما الرابع و هو كردي، فإنه يعلق بندقيته على كتف الرجل.

ذكر كاتب المقال هذه القصيدة القصيرة في سياق حديثه حول الحروب التي تحمل في طياتها سوء الفهم الى الكتابة الكردية اسوأ افرازاتها، حيث نهضت الكتابة الكردية - كما يرى كاتب المقال - على ضفاف العنف و تحت دخان الحرب، اثر ذلك تغلغلت الخشونة الى اوصالها، و يقول "يحاول الشاعر ان يقول ان الكردي يولد و في يده السلاح"، هكذا و مرة اخرى يسعى الكاتب ان يخرج من السياق التاريخي و يستخرج القصيدة من سياقها التاريخي الخاص و طورها الثوري - حيث كتب القصيدة ابان الثورة الايرانية - وهو زمن ظهور الحركات التحريرية الثورية المسلحة للشعوب الايرانية و كذلك نشوء الحركات اليسارية المسلحة ليس على رقعة واسعة من الكرة الارضية فقط بل على امتداد العالم كله.. ثم ان هاجس الحرية و الدفاع عن براءة الطفل و ديمومة الحياة و المقاومة ضد الطغيان هو الذي حفز خيال الشاعر شيركو لبلورة كلمات و دلالات هذه القصيدة. البندقية هنا هي بندقية لتصون الحياة و لتدافع عن براءة الاطفال فليست كل البنادق رموزاً للشر و الحروب و المآسي، بل البندقية هنا و في سياق هذه القصيدة من اجل الحفاظ على الحب و الحرية و المقاومة من اجلهما، حسناً، ماذا يقول كاتب المقال عن مئات القصائد التي كتبت - ابان احتلال فلسطين - من قبل شعراء مقاومين اشداء كمحمود درويش و سميح القاسم و آخرين من شعراء المقاومة الفلسطينيين، ماذا يقول عن ادب المقاومة الذي نجد فيه صوراً مضنية عن طفل يحمل البندقية؟ مشكلة الكاتب المعرفية هي انه ينظر الى الامور والاشياء نظرة احادية الجانب و ليست تعددية و بذلك يستقي آراءه من النظر الى البعد الواحد و في اتجاه واحد و وحيد، أي انه

لا يرى الاشياء كموشور متعدد الجوانب و الاطراف، لذلك نراه يقع في مطبات حقيقية و يبدي آراء في غير مكانها بل خاطئة في احيان كثيرة كما المحنا الى نظرتة الواحدية لقصيدة شيركو بيكس.

اخيراً اود ان اقول للاخ كاتب المقال ان من يريد الكتابة عن قصائد شعراء كردستان الجنوبية (المكتوبة باللهجة الكرمانجية الجنوبية) عليه ان يكون ملماً و على اطلاع واسع بهذه اللهجة قراءة و كتابة، اضافة الى المامه الواسع على الادب و النصوص الكردية المكتوبة بها. و ان لم يتقن الكاتب قراءة و كتابة اللغة الكردية، فنعلمه ان للشاعر شيركو بيكس اكثر من خمس مجاميع شعرية مترجمة الى اللغة العربية، منها (نغمة حجرية) و (ساعات من قصب) و (مرايا صغيرة) و (سفر الروائح) و (مضيق الفراشات) و (اناء الالوان). ففي مجموعة (مرايا صغيرة) على سبيل المثال ثمة عشرات القصائد القصار للشاعر و الذي تغنى فيها بجروح الفلسطينيين و مآسيهم و يعبر فيها عن معاناتهم و يصور آلامهم و يرسم حلمهم في الاستخلاص. بقي ان اقول لكاتب المقال السيد نزار آغري: اليس من المجحف تقديم هذا الشاعر من خلال نموذج واحد من قصائده و اخراجها من سياقها الزمكاني الخاص؟ استغرب حقاً كيف ينسى كاتب مثلك اهمية السياق الزمكاني في الاحداث و النصوص و حتى في التصريحات!؟.